(١٥)

كلمة الله الأزلية
لبشرية الأرض والسماء ولبشرية السماء والأرض
تنشق عنها الأرض للسماء والأرض وتنشق عنها السماء للأرض والسماء

حديث الجمعة

٢٦ شوال ١٣٨٢ هـ - ٢٢ مارس ١٩٦٣ م

أعوذ بالله من ظلام نفسي، ومن ظلام النفوس من حولي، وأستعينه بروح الحياة أقرب إلي وإلى من حولي من حبل الوريد، وأسترحمه بذات رحمته رسولا للعالمين، منه إليه في نفسه فينا وبيننا، به لنا هو الراحم، وبه لنا هو المحيي برحمته، وهو الذي به أحيا أشياءنا وقد جعل كل شيء حيا من فيض رحمته.

أُوحده وهو الواحد، وأستعينه وهو المعين، وأسترحمه وهو الرحيم، وأشهد أنه لا إله إلا هو، وهو المعروف، وأنزهه عن كل شيء، وهو في كل شيء الموصوف. إليه من كان منه، ومنه من كان بوجوده عنه...

ترددت فيه كلمة الله الأزلية بين السماء والأرض في وحدة موجوده من مطلق وجوده، كلمت في السماء فعادت إلى الأرض، وكلمت من الأرض فعادت إلى السماء. لها في الأرض كمالها، ولها في السماء كمالها، ولها إلى ما فوق السماء وما دون الثرى مآلها، فإلى الأرض رجوعها ورجعها تصاعدا مما دون الثرى، أو تدانيا من السماء ذات الرجع إلى الأرض ذات الصدع، فمن الأرض تصاعدها ومن السماء تدانيها، فهو في الأرض إله بكلماته، وهو في السماء إله بكلماته، ولله غيب السماوات والأرض، وله ملك السماوات والأرض.

هو في الأرض موصوف الإنسان، وهو في السماء معروف الإنسان. إن ناشئة الليل أشد وطأً وأقوم قيلا فيها الخلافة عن شديد القوى والنبوة للتعريف عنه. إن ناشئة النهار لناشئة الليل تفريعًا عنها، ولها في النهار سبح طويل، ومن امتداد للسبيل تأتي ناشئة النهار إلى الأرض فتنقصها من أطرافها مخلصة لأهلها من ظلام أنفسهم، لا يتثاقلون إلى الأرض، يتراحمون لا يتظالمون، وصفات أهل الأرض يفارقون فيرحمهم أهل السماء، ويتخذون منهم وجوها لهم فيصطفيهم الملأ الأعلى وجوها فيه، ويختارهم لنفسه، ثم يردهم من سمائهم ذات الرجع، ليستخلصوا من الأرض من يرحم الله من أهل الصدع نُموًّا لشجرتهم، واستكمالا لحضرتهم، وانتشارا لرحمتهم.

هكذا دواليك، تواجد محمد في عالم النور، ثم أرجعته السماء إلى عالم الأرض. تواجد في عالم النور صعودا من عالم الأرض أوادم خلق الله، وأرجعته السماء إلى عالم الأرض، مدانيا، حقا رحيما راحما، أُوتي كتابه بيمينه، علم ما قدمت نفسه وأخرت، علم ما به اتصفت، وفي أي العوالم تواجدت، ومن أي العوالم تخلصت، وبأي العوالم التصقت، مغفورا ذنبه، مقبولا فعله، مرضية ذاته، مقبولة صفاته، تماما لكلمات الله بيوتا يذكر فيها اسم كمل به الدين كلما تواجد، وتواجد به اليقين كلما بعث في مبعوث به، ونصب به المعراج، واستقامت به الطريق، وتوفر به لطالبه الرفيق. به عَرَفَ الإنسان معنى الرب له، ومعنى الإله عليه، كما عرف شرَفَ العبد لمعناه، وشرف الانتساب لمولاه.

نشأ الناس من الأرض، فنشأ معهم في ظاهره من أنفسهم، وفي باطنهم من نفسه على كمال فيه، وتجدد معهم رحمة الله في كل تجدد لهم، رفيق من رحمته لكلي معناهم بقيام معناه، آدم كل زمان، ولبنات كل بيت مرفوع أو موضوع للبنيان، ومصابيح كل ظلام للبيان والعنوان، وأوتاد كل عصر، ووجه كل ذكر، ويد كل أمر، وحوض كل ورود، وظلل الغمام تساق إلى أرض ميت فتحيي الأرض وتنبت الزرع، بستان الحياة للناس كافة، وجنة المأوى للمؤمنين بالله ورسله عامة، عرش الله المظل وكرسيه المقل، وماء الفلاة، وسفن الخلاص والنجاة، كلما تقلب بالسجود في ساجد قامت رسالة، وكلما تقلب بالوجود في موجود قامت حياة.

إن عبد الله ورسوله شهيدا لله علينا ورحمته لنا، هو لنا من الله وملائكته ورسله كل شيء منهم ظاهرا لباطن، إنسانية كاملة كلما تجمع الناس حول إنسانهم وجها مشهودا، وبيتا مقصودا لرب معبود، ولمدانٍ من الحق مستوٍ إلى الأرض من كلمة تمت لله، أرجعتها السماء من الآباء فانشقت عنها الأرض من الأمهات رسولا من أنفسهم، ملكوت الأرض، حضرة القدس بالأرض، حق الله في أرض الله، ظاهر لباطن لملكوت الملأ الأعلى، تجمع فيه عباد لله حول قبلة منهم لبيت مرفوع بهم من قديم تواجدهم، هم لبناته هو لهم مصاحب، وفيهم متواجد، ولهم معروف، وبمعناهم عندهم

موصوف، ملكوتا أعلى انشق عن بيت موضوع، هو الحق من الملكوت الأدنى هو له ظاهر لباطن، كان بذلك الحق من الله لأهل الأرض، هو لهم فيهم وبينهم وجودا، وهو لهم بينهم غيبا مقصودا، فكان لأهل السماء به أمرا جديدا في أنفسهم، وجوها له لوجه بينهم موجودا هو في الوقت نفسه غيبا منشودا، فطلبوا من الله في أنفسهم مزيدا، وبذلك طلبه الملأ الأعلى، في معانيهم تترقى، وبه تتوفى، ومنه تقوم، وإليه في الأدنى تداني، وله إلى الأعلى تعرج.

بذلك استقام في الملأ الأعلى أمره إذ في أنفسهم عرفوه، واتصفوه، وعرَّفوه، كما أنهم بجديد لأنفسهم طلبوه بمزيد منه يقوموه، وبجديد لهم يعرفهم ويُعرف عندهم يستزيدوه. وكذلك الملأ الأدنى، ما عرفه، وما قامه، وما وحده، إلا يوم تخلق بأخلاق ربه من الملأ الأعلى، فطلبه فيمن دونه قبل أن يطلبه فيمن يعلوه، ووصفه فيمن حوله قبل أن يصفه متواجدا به، ومتواجدا فيه.

بذلك استقام أمر الملأ الأعلى يوم عرفوهم في وحدانيتهم مع وجه وحدانيته بينهم. وكذلك استقام أمر الملأ الأدنى يوم عرفوه بوحدانيته وجوها له يشهدونه في وجهه الخاص الجامع لهم وجوها له. عرفوه الرسول في أنفسهم بعد أن عرفوهم القائم على كل نفس بما كسبت. آمنوه بوحدانيته في وحدانيتهم به ووحدانيتهم فيه ثم ازدادوا علما عنه، وعلموه الأكبر المنشود يوم علموهم في أنفسهم الحمد الموعود، والرسول المعروف، والوجه الموصوف، والحق المتصف. علموه القائم على كل نفس ومن ورائها محيط، ثم علموا الرسول أولى بالمؤمنين به وبربه من أنفسهم، وعلموا أن الذي فيهم مرحومين إنما هو رسول رحمته الأمين، فطلبوه في مقامه الأكبر يوم قالوا الله أكبر، وعَلموُهم منه وفيه يوم قالوا معه لا إله إلا الله فقدروا نعمة الله وآلاءه عليهم به، فشهدوه محمدا رسول الله، فلبوا نداءه وتلقوا جزاءه كفلين من رحمته، فقالوا لبيك اللهم لبيك، فرد تلبيتهم على ما علَّمهم وعَلِمَهم فقال لهم لبيك اللهم لبيك، فلباهم كما لبوه، وأجابهم كما أجابوه، وقال لهم كما قيل له من ربه لا فرق بيني وبينكم، ما أعطيته فلكم، أنا أمتي، وأمتي أنا، أمتي لي كل ما لي من ربي، وأنا لها كل ما لها من ربي وربها، فعلم الناس أنهم إن كانوا في الملأ الأعلى أو إن كانوا في الملأ الأدنى، إن كانوا في السموات وما فوقها أو كانوا في الأرض وما تحتها وما دونها، فإنما يتعارف العباد بجمعهم للعباد بفردهم عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، والذين يعرفون في الملأ الأعلى لأهله دوما حيث لا لاغيةً ولا كذابا، ولكن جزاءً حسابا، ووفاءً ومآبا.

عباد الرحمن، في الأرض ونارها أو في السماوات وجنانها، هم عباد الرحمن، وهم وجوه الإحسان، وهم حقائق الحق الديان. إذا أدرك الناس ذلك أدركوا قول الرحمن: إن كل من في السماوات، وإن كل من في الأرض، إلا آتي الرحمن، رسولا من أنفسهم، عبدا من بينهم، إليه يتعارفون، وفيه

يتواجدون، وإليه ينسبون، وجودا في الله، وتعارفا إلى الله، وانتسابا إلى الله، وقياما في الله، يوم يكشف عنهم الغطاء ويرتد بصرهم إليهم فيعلموهم، ويعلموهم أن فيهم رسول الله يوم تنالهم رحمة الرحمن الرحيم، ويوم يرجمون بإدراكهم وعقولهم مادي أوزارهم من وجودهم في جلباب أرضهم، فيرجمون الشيطان الرجيم، ويقتلون أنفسهم فيحيونها بقتلها، ويمتطونها بوصفها مطايا معانيهم ظهرا يركبون، به في الطريق يسيرون، وأشواطا يقطعون، وقائم الحق عليهم يقومون، ولمعانيهم من الحق له يعبِّدون، فهو مُلكهم يوم يملكون، وأنفسهم به يطورون، فبربهم وقد صاروا وجوها له بوصف الرب والعبد يسعدون، وإلى عليين بيوتا يذكر فيها اسمه يتصاعدون، ثم بعلياء معانيهم إلى الأرض رسلا يرجعون، وبيوتا يذكر فيها اسمه يوضعون، وبما علموا ينبئون، فكتبهم بأيديهم بين الناس يقرأون وينشرون، وهم برحمة الله يعلمون ويعملون، ففردوس أنفسهم يتواجدون، يجزون الغرفة بما كانوا يصبرون، ويقودون القطيع من بهيمة الأنعام إلى ساحة الحياة، وأحواض الحياة لدواب الأرض يوردون، كما وردوا وأوردوا في سبق قديم له يتذكرون، لا يمنون، ولا يستعلون، وعلى أنفسهم وذواتهم وجودا ينكرون، وإلى ربهم مسحاء ينسبون، وكلمات لله يدعون، فإذا ظهروا ظهورا عبادا له يذكرون، وأمورا منه يقومون، ووجوها له يعرفون.

بهذا جاء محمد، وكم به من قبل جاء، وبهذا جاء محمد، وكم من بعده في القوم جاء، فهل عرفه الناس وجعلوا منه لأنفسهم من عذاب الله الوجاء؟ به جاء الحق كلما جاء الحق، وبه زهق الباطل كلما أزهق في الناس باطل، وبه رُحم الناس كلما رُحم الناس، وعلى صخرته آمن الناس كلما آمن الناس، وله كفر الناس كلما به كفر الناس.

عبد الله.. رسول الله.. وجه الله.. حوض الله.. حق الله.. بحر الحياة.. طريق النجاة.. هذا من عرفناه رسول الله، وذكرناه محمد الله، واتصفناه عبد الله، وحييناه وحيياناه نور الله، وتابعناه روح الله، ونتبعنا أثره سبيل الله، وشهدناه في لا إله إلا الله، وفي محمد رسول الله.

اللهم يا من بمحمد أحييتنا أتمم لنا نورنا، وأتمم لنا حياتنا، وأتمم لنا خلاصنا، وأتمم لنا رحمتنا، وأتمم لنا معرفتنا، وأتمم لنا حكمتنا.

اللهم يا من أرسلت محمدا في العالمين رحمة للعالمين، اللهم قلبنا إليه ساجدين، وأوصلنا به عابدين، وحققنا به ذاكرين، وقومنا به راجعين يا أرحم الراحمين، اللهم خذ بنواصينا به إلى الخير، قوم به جوارحنا، وزكي به نفوسنا، وحرر به عقولنا، وأعتق به رقابنا من النار، واحملنا على سفين ركبه، وعلى جناح رحمته، واجعل اللهم به خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائك، وولِ به اللهم أمورنا خيارنا، ولا تولِ بغفلتنا عنه أمورنا شرارنا، وعاملنا به بعفوك ورحمتك، وأقلنا به من عدلك وغضبتك.

اللهم أنزل سكينتك منه على قلوبنا، والسلم به والسلام على أرضنا، وبه ارحمنا، وبه تولَنا، وعنه أرضنا، وعنا فارضه، وكن به لنا رضوانا منك أكبر، منا عليه، ومنك إليه، ومنه علينا. لا إله إلا الله لا شريك له محمد رسول الله عبده، وأمة عباده، واحد لا تعدد له.

أضواء على الطريق

(ولو أننا نتوقف فترة قصيرة عن الحديث إلا أننا سنكون معكم صامتين، ومنكم قريبين، لنعطيكم الإلهام والقوة والإرشاد الذي في مقدورنا، إذا ما دخلت نفوسكم في ذاتها، وتركتم خلفكم الذبذبات غير المتوافقة من العالم المادي. ونفوسكم هي منازلكم الحقيقية التي لا تدخلونها في الواقع وللأسف إلا لفترات قصيرة فيها نلتقي لنتذوق سويا بعض المباهج التي ستصبح في يوم ما تجربتكم الدائمة.

أترككم الآن بقلب مثقل قليلا وبعقل يداعبه الرجاء. سوف أذهب لإنعاش نفسي من ينبوع كل الطاقة الروحية ولأحصل على إلهام جديد من علٍ، حتى إذا امتلأت بالقوة الحيوية عدت لأكون أقدر على الخدمة، وآتي بمزيد لكم من فيض الروح الأعظم اللانهائي. إني آخذ معي كل حب قلوبكم، وكل رغباتكم الصالحة التي أعرفها. تذرعوا دائما بالأمل والشجاعة ففي أحلك الليالي ما زال ينشق طريق لبهاء الفجر الذي يبشر بالشمس المشرقة.

وليباركم الروح الأعظم وينعم عليكم بالشآبيب الغزيرة من حبه اللانهائي، ولتشع روحه خلال كل أرواحكم، ولتشرق منتصرة في حياتكم التي تحيون. إني أترك ظلام عالمكم وأحيا ضوء الملأ الأعلى).

من هدي السيد (سلفربرش)